16 em Année No. 802

Lundi — 15 — 11 — 1948

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول
احمد حسن الزيات

الإدارة
دار الرسالة بشارع السلطان حسين
رقم ٨١ — عابدين — القاهرة
تليفون رقم ٤٢٣٩٠

بدل الاشتراك عن سنة
مـ
١٠٠ فى مصر والسودان
١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى
ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات
يتفق عليها مع الإدارة

العـــــدد ٨٠٢ « القاهرة فى يوم الاثنين ١٤ محرم سنة ١٣٦٨ — ١٥ نوفمبر سنة ١٩٤٨ » السنة السادسة عشرة

أسرة طيبـــــة

— ٢ —

أقلعت الحمى المزعومة عن جسد عائدة الرشيق الغض ، فشعرت شعور الفتاة الصحيحة بأن رجلاً أجنبياً فى غرفتها فنهضت بحكم الغريزة تتعهد مواضع احتشامها ، وتجمع بيدها ما تشعّث من هندامها . ثم نظرتْ إليّ بطَرفها الساجى نظر المطمئن الشاكر .

فقلت لها : كيف تجدينكِ الآن يا آنسة ؟

فأجابت فى ابتسامة خجلة وصوت خَريد :

— اجدنى والحمد لله كأن لم يكن بىَ شىء . وإنّا لنعتذر إليك يا سيدى من إزعاجك فى مثل هذه الساعة . والحق أنى لا أعرف كيف جرى ذلك ! شكوت أول الليل فَترةً فى جسدى لعلها مسّةٌ من البرد ؛ فلما قاس أخى حرارة جسمى وقال إنها ثلاث وأربعون درجة اعتقدت أنى مشفيةٌ على الموت ، لأن فهمى لا يمزح فى مثل هذه الحال ، والميزان لم يغشنا قبل هذه المرة ؛ وحينئذ شعرت بدمى يفور ، وبنفَسى يتتابع ، وبنبضى يسرع ، وبروحى تذوب ، وبجسمى ينحل ؛ ثم نزلت بى غشْية الموت فرأيت ثُلة من القديسين وفى أيديهم الأناجيل يرتلون من حولى آيات الغفران وأدعية الرحمة . فلما أوشك السراج أن ينطفىْ سمعت قديساً من بينهم يقول ضاحكاً : إن حالتها تكاد أن تكون طبيعية ، وإن حرارتها سبع وثلاثون درجة ونصف ! ففتحت عينىّ فإذا بك واقف على سريرى وفى يدك الميزان ؛ ثم فهمت من الحديث الذى جرى أن حرارة المصباح الشديدة هى التى رفعت الدرجة حين أدناه أخى من لهيبه وقلّبه طويلاً على حره . حينئذ فتر الدم الغالى وأبطأ النبض السريع وتماسك الروح القلق وخف الجسم الثقيل ، فنهضت أشكر عائدى الكريم وأعتذر إليه ، وجلست أطمئن بيتى المرتاع وأسرّى عنه .

فقلت : نحمد الله على أن جعل مرضك وهماً لا حقيقة ، ونسأله ألا يصيبك المرض إلا بهذه الطريقة . ثم هممت بالانصراف ، فأقسم المعلم فهمى ألا أخرج حتى أشرب قدحاً من شاى شحاتة ، أو كأساً من عرق (عزّور) .

فقلت له وأنا أمكّن لنفسى فى الكرسى المخلّع :

— لا بأس أن أبر يمينك بأخف الضررين . هات الشاى نشربه على صحة الآنسة .

فذهب شحاتة يطبخ شايه وسرعان ما رجع خزيان يعتذر بأن زجاجة المصباح الأصغر قد تحطمت فى الفزعة التى سبّبها المصباح الأكبر .

فقلت لهم : وماذا يضطركم إلى الاستضاءة بالنفط والعمارة كلها تستضيءْ بالكهرباء ؟

فأجاب المعلم فى لهجة الأستاذ وهيئة العبقرى :

— خلاف بينى وبين شركة النور على التأمين الذى تأخذه مقدماً من المشترك ، هى تريد أن (أدفعه) ، وأنا أريد أن أمنعه . ومعاذ الله أن أكون مغفلاً كجميع مشتركيها فأنزل لها عن بعض مالى بغير حق . إن التأمين مال ميت ، لأنك لا تستفيد منه ما دام النور ، والنور لا تستغنى عنه ما دامت الحياة . وقد تحدثت فى ذلك إلى رئيس الوزراء فاقتنع ووعد بأن يطلب من الشركة إما أن تأخذ التأمين بأجر ، وإما أن تكتفى منه بالتأمين على استهلاك شهر .

ومنذ تلك الليلة تفتحت بيننا الأبواب وتكشفت دوننا الحجب ، فأصبحنا نتذاكر فضول النحو فى مكتب فهمى ، وأمسينا نتناقل شهى الحديث فى مجلس عائدة . واتفقت لى مع الآنسة الطيبة خلوات أنست فيها النفس بالنفس ، واطمأن عليها الضمير إلى الضمير ، فعلمت من دفائن صدرها أنها أحبت ، وأن حبيبها كان من أهل الرواء الباهر والثراء القليل ، كان يعمل فى تقطير (العرق) وجلب (الملوحة) ، ويطمع منها فى صداق ضخم يوسع به معمله ، ويبنى عليه مستقبله ؛ وكانت هى ترجو أن تدبر له هذا الصداق من تجارة أبيها الرابحة فى القطن والزيت . ومضى على هذا الحب المنيف المفيف ثلاثة أعوام كانت فى خلالها تلقى فتاها فى إيابها من المدرسة ، أو فى ذهابها إلى الكنيسة ، فينضحان هواها المكظوم المحروم بما تيسر من أناشيد الغزل وأحاديث المنى ، ويتشاوران فى مستقبل هذا الحب الجائش النامى : متى يعرف الأبوان ، ومتى تعلن الخطبة ، ومتى ينعقد (الجبنيوت) ، ومتى يكون الزفاف ؟ وانتهى التشاور بينهما ذات يوم إلى أن يتقدم الخاطب فى الأحد القريب إلى أبويها فيطلب يدها ويعلن خطبتها . ومضت هى تهيء سمع أمها إلى هذا الخبر ؛ وكانت الأم قد عرفت عن طريق غريزتها وأمومتها سر هذا الحب فلم تدهش حين صارحتها ابنتها به . ووعدتها أن تظاهرها فى وقت واحد برضا الأب وضخامة الصداق . ولكن أمها مرضت فى ذلك الأسبوع مرض الموت فتأجلت الخطبة . ولحق بها أبوها بعد عام فتجدد التأجيل . ولم يعل الخاطب الحبيب هذا الانتظار ، لأن حظ عائدة من الجمال يتسع له الصبر ، ونصيبها من تركة أبيها يستحيل منه العوض . ولكن تركة المرحوم تكشفت بفضل المضاربة فى البرصة عن دين فادح كان يستره بجمال الظاهر وحسن السياسة ، فلم يجد بنوه شيئاً فى البنوك ولا فى الدفاتر . فخرج فهمى من المتجر وتبطل ، وانقطع شحاتة عن المدرسة واشتغل ، واعتكفت عائدة فى بيتها عن الناس فلم تزر أحداً ولم تقبل أن يزورها أحد . ثم قصرت جهدها على أخويها وحبها على المسيح ؛ فهى تعمل طول الأسبوع فى البيت ولا تخرج إلا يوم الأحد إلى الكنيسة . ثم استعاضت عن عشرة الناس بعشرة الحيوان ، فهى تربى الأرانب فى المطبخ ، وترعى الدجاج فى الصالة ، وتقتنى كلباً فى الغرفة ، وتصطحب هرة فى السرير . ولكنها منذ عرفتها وتألفتها نظفت البيت ونظمت الأثاث وجلت النظر واكتفت من خلطائها العجم بالكلب والهرة .

ثم تعاقبت السنون وتبدلت الأحوال فانتقلنا من حى إلى حى ، وتحولنا من ناس إلى ناس ، فانقطع علم ما بينى وبين هذه الأسرة الطيبة ، فلم أعد أرى فهمى البطين ، ولا شحاتة الأعجف ، ولا عائدة الرشيقة .

وفى يوم من عطلة عيد الأضحى الماضى كنت واقفاً أجيل النظر فى المرض الزجاجى لمكتبة من مكاتب الفجالة ، فرأيت بجانبى رجلاً أشمط الرأس معروق العظام يحمل قرطاساً من الباح الأمهات ويديم النظر إلىّ وفى عينه استفهام وعلى شفته كلام . فلما حدقت ببصرى إليه عرفت فيه شحاتة أفندى ، فسلمت عليه بشوق ، وسألته عن أخويه بلهفة . فقال لى والأسى يقطر من وجهه ويظهر فى كلامه : قضى فهمى بالشلل ، وقضت عائدة بالسل ، وقضى الله أن أعيش بعدها لأبكى عليهما وحدى ، ثم لا أجد من يبكى عليهما ولا علىّ بعدى !

فشجعته ثم ودعته وانصرفت وفى نفسى أن أحيى ذكرى هذه الأسرة الطيبة بهذه الكلمة فى « الرسالة » .

احمد حسن الزيات